

## الخطبة الثامنة

### وحدة الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَحْمَنَ رَحِيمٌ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ:

قال تعالى: ﴿وَلَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَجَدَةً وَآنَا رَبُّكُمْ فَاقْتُلُونَ﴾ [المؤمنون: 23/52]، ولكن الناس تفرقوا واختلفوا وأخذتهم الأهواء كل فرقة تدعى الحق، وكل فرقة تحلل بعقلها المغواج ما يحلو لها، فقال تعالى: ﴿فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَنِيهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 23/53].

(زُبُرًا) أي: فرقة وطائفة كقطع الحديد تسمى زبرًا، والمعنى: أنهم لما تركوا أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يتبعوا الوحي تفرقوا واختلفوا وفرحوا باتباعهم وأهوائهم. لذلك أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بأية جامعة عظيمة بما فيه نجاتنا وبما فيه فلا حنا فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفَشُوا وَنَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 8/46]، هذه الآية أمرت:

- 1 - بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، باتباع الوحي القرآني واتباع الوحي النبوi. فالفلاح في اتباع الشريعة، الفلاح في اتباع السنة، قال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» عن المقدام بن معددي كربـ - رواه حمـ - جهـ الدارمي - صحيح، فالله سبحانه وتعالى أوحى لنبيه القرآن وأوحى إليه السنة، وهي التي تفسر القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: 16/44].

وتمام الحديث: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجال شבעان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعلتهم أن يُقرُّوه، فإن لم يقرُّوه فله أن يعقبهم بمثل قوله» أبو داود (4604) من عون المعبد والترمذى وابن ماجه.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ إِنَّ تَوْلَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَفِرِينَ﴾ [آل عمران: 32]، من ترك طاعة الله ورسوله فقد كفر، انتبه! من ترك طاعة الله ورسوله كفر، لذلك قال تعالى: ﴿فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبُهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

2 - قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفَشُلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 8/46]. التنازع والخلاف والأخذ بالأهواء والابتعاد عن النص النبوى أو الوحي النبوى عاقبته الفشل في الدنيا قبل الآخرة، وقوله: ﴿وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: تذهب قوتكم وشوكتكم؛ لأن التشرذم والتفرق يُضِعِّفُ الأمة، وهناك فهم آخر يقول: إن عدم الالتزام بالوحي بنوعيه القرآني والنبوى هو ضعف وفشل، فاللقوة في الالتزام، أو أن القوة في عدم التنازع، ولكي لا تتنازع في النص وفي فهمه وفي تطبيقه نرجع إلى الصحابة الكرام لنرى كيف فهموا هذا النص وكيف طبقوه، فهم -أي: الصحابة- هم الذين حملوا النص لنا ونقلوه وكتبوه وحفظوه وفهموه، وهم من راقب رسول الله ﷺ وعاشره وفعلوا ما فعلوا أمامه عليه الصلاة والسلام، وهو عليه الصلاة والسلام من شهد لهم وشهد عليهم.

3 - ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 8/46]. قوله: (اصبروا) أي: اصبروا على تطبيق الوحيين، وجاهدوا واصبروا في تعاليم الوحيين، اصبروا على طاعة الله ورسوله، لأن الله سبحانه وتعالى مع هؤلاء الصابرين، وقد يسخر الناس ويعيرون عليك التزامك بالوحي، وقد يضحكون منك وقد وقد...

ولكن أبشر فقد أخبر الله تعالى بكل هذا فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبِّنَا إِمَّا أَغْفِرْ لَنَا وَرَحْمَنَا وَإِنَّ خَيْرَ الرَّحِيمِينَ ﴾١٦٥﴿ فَلَنَخْذِنُهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَسْوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنُّمْ مِّنْهُمْ تَضَّحَّكُونَ﴾١٦٦﴿ إِنِّي جَزِيَّهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَرَّبُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِدُونَ﴾

[المؤمنون: 23 / 109 - 111].

جزاهم الله تعالى الجنة بما صبروا في طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ، وفي تطبيق ما جاء بالوحين وفي نشره وتعليمه وبإبلاغه. اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين، آمين.

ما أجملها من آية، ما أجملها من بشرى، رددتها معي، رددتها في قلبك، تمنَّ أن تكون منهم ومعهم، ادعُ الله أن تكون منهم، ﴿إِنِّي جَزِيَّهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَرَّبُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِدُونَ﴾.

سئل سفيان الثوري رضي الله عنه كم باباً في صحيح البخاري؟ فقال: (98) باباً،

فقيل له: ابتدأ بكتاب الوحي. قال: بدأه بكتاب الوحي ونهاه بكتاب التوحيد، لأنه من اتبع الوحي ختم له بالتوحيد، أي: بالنجاة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

أعود فأقول: إن علينا الاتحاد، ولَمَ الشمل، ونبذ الفرقة، والخلاف، وأن يكون اعتمادنا على الكتاب والسنة وفهم الصحابة الكرام، ننشر المحبة والألفة بين إخواننا، ونتجاوز عن السئيات والأخطاء بيننا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تبغضوا، ولا تداروا، ولا يبغ بعضكم على بعضاً، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخوه المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه ولا يحرقه»، التقوى هنا -ويشير ﷺ إلى صدره ثلاثة مرات- بحسب أمره من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه مسلم (2564).

قال عليه الصلاة والسلام عندما جاءه ابن اللتبية الذي استعمله على الصدقة، فقال ابن اللتبية: هذا لكم، وهذا أهدى إليّ، فقال ﷺ: «أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيمة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله تعالى يحمل بغيراً له

رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه فقال: اللهم هل بلغت؟» متفق عليه.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه» حم - البيهقي - الدارقطني - صحيح.

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقطع شيئاً من الأرض ظلماً، طوقة الله إليها يوم القيمة من سبع أراضين» (1610) مسلم.

خسرنا الأندلس لتفرقنا، خسرنا فلسطين لتفرقنا، وكلنا دويارات صغيرة، يتحكم فيها الغرب لعدم اتحادنا ولعدم تعاوننا، خسرنا الهند بعد أن كانت ولاية إسلامية وكان لها ملوك ومن أشهر ملوك المسلمين، محمد بن القاسم فتح بلاد السندي (92 هـ)، وفي الدولة العباسية فتح هشام بن عمرو والي السنديان وكشمير، ثم جاء الغزنوين نسبة إلى مدينة غزنة ومؤسسها سُبيكتكين فأخذ البنجاب، ثم جاء ابنه محمود ففتح معظم الهند وتوفي في (421 هـ) وانتهى الغزنويون في (555 هـ) ثم جاء الغوريون شهاب الدين الغوري، وتمكن قطب الدين أبيك فتح مدينة دلهي، وتنازع المسلمون حتى دخل تيمورلنك دلهي عام (801 هـ) وتقسمت بعدها الهند إلى دويارات.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالة» حم - د - ت.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذين إذا رأوا ذكر الله تعالى، ثم قال: ألا أخبركم بشراركم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: المشاؤون بالنمية، المفرقون بين الأحبة الباغون للبراءة العنت» حم - البخاري في الأدب المفرد.

(الباغون للبراءة العنت) معناه: أنهم يريدون في حق الأبراء من عباد الله تعالى التعب والمشقة والفتنة والشر، والتفرقة والتشاحن والتباغض، نفسيتهم مريضة،

لَا يحبونَ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ، وَلَا يَدْعُونَ النَّاسَ مِنْ شَرِّ رُهْمِهِمْ وَفَسَادِهِمْ، أَعَذَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ  
وَأَبْعَدَنَا عَنْهُمْ.

وقال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحابيتم؟ أفسحوا السلام بينكم» مسلم.  
وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نصر أخاه بالغيب  
وهو يستطيع، نصره الله في الدنيا والآخرة» البزار، وعن النواس بن سمعان رضي الله  
عنه عن النبي ﷺ قال: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدقٌ وأنت  
به كاذب» حم، وقال عليه الصلاة والسلام: «الكبير بطر الحق وغمط الناس» مسلم.  
وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الكبير سفة الحق وازدراء  
الناس» مسنن الإمام أحمد.

إذا فهمنا هذا عرفنا لماذا قال عليه الصلاة والسلام: التقوى ها هنا ويشير إلى  
صدره ثلاثاً. التقوى في القلب وبرهانها:

التوقف عند قول الله عز وجل وقول رسوله ﷺ، التقوى في القلب وبرهانها  
الرجوع إلى الحق، والخوف من القول على الله وعلى رسوله بغير علم. والعلم بأن  
الله مطلع عليك وعلى أقوالك وأفعالك ونياتك، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ  
أَنَّقْنَكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

القوى في القلب هي صمام الأمان للسان وللعين وللأذن وللشعور بالمحبة،  
والتناصر والتعاطف والميل، القوى هنا، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعْرَرَ اللَّهِ  
فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32].

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟  
فكل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل  
جواظ مستكبر» متفق عليه.

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» مسلم.

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذوا عباد الله، ولا تعيروههم، ولا تطلبوا عوراتهم؛ فإن من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته» حم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذِنُكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا أَكْتَسَبْنَاهُ فَقَدِ احْتَمَلُوا بِهَتْنَانِ وَإِثْمًا مُّمِينًا﴾ [الأحزاب: 58].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن من مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن يكف عن ضياعه، ويحوطه من ورائه» أبو داود.

وقال يحيى بن معاذ الرazi: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: 1 - إن لم تنفعه فلا تضره، 2 - وإن لم تفرجه فلا تغمده، 3 - وإن لم تمدحه فلا تذمه.

واستنصح عمر بن عبد العزيز الحسن البصري عندما ولـي الخليفة، فقال الحسن رضي الله عنه: 1 - اجعل كبير المسلمين عندك أباً، 2 - وصغيرهم ابنًا، 3 - وأوسطهم أخيًا، فأـي أولـتك تحـب أن تـسيء إـلـيـهـم؟ أي: أنه لا أحد يـحب ولا يـرغـب ولا يـرضـيـ أن يـسيـء إـلـيـهـ أوـ اـبـنهـ أوـ أـخـيهـ.

قال عليه الصلاة والسلام: «لَزَوال الدُّنْيَا أَهُونُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» الترمذـي (1395) - النـسـائـي (3987) - ابن ماجـه (2619).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَنِيلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [التور: 23/24]، فهذه حرمة الأعراض وقد قال المفسرون: الآية تشمل الرجال والنساء.

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ﴿وَلَا تَحِرِّمُوا أَفْسَكُهُمْ﴾ ﴿وَلَا تَنْبَرُوا بِالْأَلْقَبِ﴾ [الحجرات: 11/49].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ لَجَبَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَا وَلَا يَنْفَتَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَنَكِرُهُمْ وَلَنَفُوا اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12/49].

وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع: «فإن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد» عن أبي بكرة - البخاري (1741) - مسلم (1679).

الصلوات جماعية - الصيام جماعي - الحج جماعي - الاجتماع على القراءة والمدارسة والتفقه في الدين - الزكاة جماعية - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جماعي - صلاة الجمعة - صلاة العيددين - الاستسقاء - الجنائز جماعية...

نحن مسلمون أولاً - نحن إخوة في الدين - التعصب والتمذهب واللذون والعرق والنسب والموطن لا يهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْظُرُ إِلَّا مَنْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا عَيَّنَكُمْ مِنْ حِسَابٍ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[الأنعام: 6 / 52].

نزلت لما طلب الأقرع بن حabis وعيينة بن حصن من الرسول ﷺ أن يطرد صهيبياً وعمماراً وبلاً وخياباً رضي الله عنهم. قال تعالى: ﴿وَأَعْنَاصُمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْفَرُوا وَإِذْ كُرُوا يَغْمَتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالَّذِي بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحَّهُمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْرَانًا﴾ [آل عمران: 3 / 103].

فلا كيان لنا ولا قوة لنا إلا باتحادنا ووحدة كلمتنا وكوننا صفاً واحداً نتعاون بينما في كل شيء، ولا بد من إنشاء مجلس شورى أو أهل حل وعقد يخططون لنا ويرمجون لنا ونرجع إليهم في كل أمورنا، جاء بعض أصحاب رسول الله ﷺ يشكرون له أنهم يأكلون ولا يشعرون، قال ﷺ: «فلعلكم تفترون؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه؛ يبارك لكم فيه» حتى الاجتماع يأتي بالبركة.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

**والصلاه والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم**